أصدقاء ناجي نعمان

Les amis de naji Naaman

los amigos de naji naaman

naji naaman's friends

ريمون عازار

بين المجرَّة والسَّنابل

دار نعمان للثقافة

مقدّمة
الدّكتور ميشال كعدي

يُقصّبُ من مقلعِ الإبداع

الشَّاعرُ المُجيدُ يُكلأُ بالبَصَرِ، فقلمُهُ النَّجيدُ يستمرُّ في مغامرةِ البَدعِ، ويطوِّفُ في الدَّخائلِ، بأَشرعَةٍ مُضيئةٍ لعبقريَّةٍ مَهمَّتُها الوصولُ إلى عتباتِ الرَّوعةِ، ومفاتيحِ السِّحرِ المضيِّعة.

على أنَّهُ يُشرِّعُ المعتزمَ النَّبيلَ، فهوَ له ولا امتراء.

الشَّاعرُ الخلاَّقُ، إذا لم ينظمْ يحسبُ نفسَهُ في ضَياعٍ، وإنْ عاشَ من دونِ تطريبٍ وشدْوٍ، فقد ابتُذِلَ عمرٌ، وأُهينَتْ لُبانةٌ وحاجةٌ.

٣

في أَيِّ حالٍ.

الرّحلةُ الشِّعريَّةُ مع شاعرِ المجرَّاتِ الضوئيَّةِ ريمون عازار، هي من الأَغوارِ المرقومةِ على النَّغماتِ الواصلةِ بينَ المجرَّةِ والسَّنابلِ، والنقلةِ العَجبِ نحو القرارِ الذَّوقيِّ، وقصائدِ المناسباتِ، والوطنِ، والذّكرى وما شابه.

ترى أَحقَّ مِن شاعرِ المجرَّاتِ الضوئيَّةِ، أَن يكونَ له ظهيرا؟

صحبتُهُ تمتازُ بالمُتعةِ والوفاءِ للآخرينَ، في حياتِهم ورحيلهم ومواقفِهم، ثمَّ يطالبُ كلمتَهُ بالبُعدِ والعمقِ والكثافةِ، والصّورِ الآخذةِ مِن أَشعَّةِ النّجومِ والشَّمسِ.
فهو شاعرُ الوقفاتِ والأَصالةِ والموهبةِ.

ساحرُ الكلمةِ والمنابرِ هذا، له من عالمِ البلاغةِ والفصاحةِ ما يؤسِرُ السّامعَ برشاقتِهِ.
طلاّتُهُ من أمكنةِ المجدِ الأَدبيِّ، وصاغيةِ الشِّعرِ وعراقةِ النَّفحِ، أَمَّا أَنتَ فترتاحُ معه إلى امتلاكِ الشَّكلِ والمضمونِ، واقتيادِ القوافي.

٤

مِن وقفاتِهِ يومَ شاءَ المثقَّفونَ تكريمَ الشَّاعر الدكتور منيف موسى، أن توجَّهَ عازار إِلى المنبرِ وبين يدَيه قصيدة "من مثل لبنان"، فأنشدَها، حيث كان لها الوقعُ والصَّدى في نفوسِ السَّامعين فجاء فيها:

يُصَعِّدُ الشَّدوَ للعلياءِ، يُدهشُها،
تشيحُ عن عَزْفِها الدهريِّ، تَسْتَمِعُ
... كانَ الجمالَ، وكانَ الحُبَّ مِنْ أَزلٍ
كان الأَناشيدَ في الأَسْفارِ تُرْتَجَعُ
من مثلُ لبنانَ، يومَ العربُ في صببٍ
يدعو إِلى البعثِ، والرّوادُ تندفعُ
... هُنا القريضُ، هنا الدُّنيا مجنَّحةٌ
هُنا التجلِّي، هُنا الإِلهامُ والورعُ

على رغم مشاغلِهِ القانونيَّةِ والحقوقيَّةِ، أَدركَ أَنَّ الشِّعرَ حاجةٌ، فنظمه في لحظاتِ الإِلهامِ، وفي كلِّ مرَّةٍ كان يتلوهُ وعدًا وتبشيرًا أَدبيًّا، وعند غيارِ أُمِّ الكواكبِ، يرفعُ

٥

صلاةَ الغروبِ، في بلدتِهِ عينطوره التي رآها بحجم الكونِ، وبخاصَّةٍ عندما كان يسيرُ تحت سمائِها الجلواءِ، المصْحية.

هذا الشَّاعرُ يعرفُ كيف يَرقى بموكبِهِ إلى الأَعالي، ثمَّ يُدرِكُ كيفَ ينتهي إلى ميزاتِ الفنِّ المباشَرِ. فهو يواجهُ الأمورَ بتعاطفٍ ويُسرٍ، أَمَّا الوضوحُ فقد تجلَّى بالصِّدقِ والأَمانةِ والتقديرِ الذي يغمرُ نفسَهُ.

وتتواترُ الأَيَّامُ، فتتَّجِهُ الأَبصارُ يومًا بعد يومٍ، وسنةً بعد سنة نحو الشَّاعرِ ريمون عزيز عازار، الذي غدا قِبلةَ الشِّعرِ والنَّثرِ، وقد رَفعَهُما إلى عالياتِ الذُّرى والأَسماعِ. وكأَنِّي به وهو المعمَّقُ في الشِّعرِ، أَن يأخذَ وسعَهُ في جرِّ الريشةِ، ليغامرَ في رقاعِ القولِ، ويقتحمَ الأَغراضَ الشِّعريَّةَ، ويخترقَ ذُرى المجرَّةِ، والرُّؤى.

ثمَّ يقفُ على سامقاتِ الدُّنيا، بعد جولاتٍ كثيرةٍ، ليستخلصَ العِبَرَ والعظاتِ من الماضي، ويتلفَّتُ بعينٍ تدمــع على صديــقٍ غــابَ، وجــراح تلــفُّ الإِنسانَ

٦

والإنسانيَّةَ، فيذكرُ الشَّاعرَ الكبيرَ جورج غانم، وعبد الله القبرصي، وعاصي الرحباني، ومنصور الرحباني، و"إيليَّا أبو شديد"، وغيرهم، يقولُ في قصيدة "كما النبيُّون" متذكِّرًا رفيقَه جورج غانم:

أَرجعتُهُ الأَمسَ، أَحيا في منازلِه
فبعدكَ السَّبعةُ الأَيَّامِ تُتَنَزَلُ...

وجئتُ أَحملُ هَمَّ الخَلقِ في قَلَمي
وفي الأَعالي قبابٌ شَكَّها الأُوَلُ...

بَلى، فوجهُكَ سَمْحٌ في تشامُخِه
وغيدُ شعرِكَ بالنَّجماتِ تُكْتَحَلُ

وأَنتَ تقرأُ قصائدَ عازار، يُعاجِلُكَ سُمُوُّ الإنسانِ فيه، وعلى التوِّ تشعُرُ بالوفاقِ معه، وهو يكدحُ في مصنعِ جمالِ الكلامِ. ولَكَمْ يُلقي في خَلَدِ المرءِ وهو يسمعُ من طيبِ شِعرِهِ، أَنَّ سجوعًا تتهادى مع بناتِ الهديلِ تصدحُ من الرَّاسيات.

٧

ثمَّ تحاولُ أَن تدرجَ ما زكا في شعرِه برويَّةٍ وهدوءٍ، فيفاجئُ قرَّاءَهُ بازدواجيَّة، قائمةٍ على النُّبلِ في التعاطي والتَّواصلِ، أَمَّا النظرةُ فتُخفي وراءَها المحبَّةَ.

لقد عرَفَ المحامي الشَّاعر عازار، الكلماتِ العربيَّةَ، فأَنزلَ الفصاحةَ على أَبياتِ قصائِده، فالنداوةُ والخَضْلُ، حيث كانَ له انتصاراتٌ في مجالِ النشوةِ، والثقافةِ النَّازلةِ على وَهْجِ المعرفةِ والفكرِ والذكاءِ، والفؤادِ الذي يُشعِلُ مِن ذاتِه حتَّى تستقيمَ القصيدة.

أَمَّا الدقَّةُ فنراها موزَّعةً ببراعةٍ فائِقة، وإِذا الحركةُ إِغراءُ معادلة، كأَنَّ العاملَ السحريَّ يرسمُ الخطَّ على بركاتِ المساحاتِ والمدى، فكلّ المفاهيمِ هذه نراها في قصيدةٍ وُلِدَتْ لتكريمِ القاضي الدكتور غالب غانم، جاءَ فيها:

الحقُّ نحنُ، ونحنُ السَّيفُ والغضَبُ
إِن مُسَّتِ الأَرضُ، أَو إِن مُسَّتِ الكُتُبُ

٨

... قيلَ اليبابُ وليس الشِّعرُ ريشتكمُ
فقلتُ ننفخُ مثلَ اللهِ تلتهبُ

... إن جئتَ تَسعى، فأنسٌ في مهابتهِ
أوجئتَ تَنْهَلُ، فالشَّلاَّلُ ينسكبُ

... أنَّى حَلَلْنا فدارُ الشِّعرِ دارتُنا
أنَّى اشْتَعلنا، حروفُ الشَّمسِ تَنكتبُ

ريمون عازار

صائغٌ فنَّانٌ، يعكِّفُ الجواهرَ بقدرةٍ قادرٍ، ويزخرفُ تعابيرَهُ بأَقواسٍ ذهبيَّةٍ، ثمَّ يتركُها تجري جريًا طبيعيًّا لتمتزجَ بغريزةٍ بكر، وتختفي متواريةً بأُنسٍ وبهجةٍ وطمأنينةٍ.

ومِن الملاحظِ وهو في شقعِ التَّراكيبِ، أَنَّه لا يضطهدُ اللَّفظةَ، إنَّما يُجاريها ويُداريها، لتأخذَ مكانَها برقَّةٍ حتَّى يُبعِدَ الرَّصدَ عن المطارحِ المحظورة.

لقد بلغَ منتهى العنايةِ في اختيارِ المفرداتِ، حتَّى بدا في ذروةِ الأَناقةِ، مِن دونِ تَعَبٍ يُذكَرُ.

٩

الله ما أَروعَهُ في المعاطاةِ الأَدبيَّةِ!

على أَنَّ مشاغِلَهُ على وفرتِها، لم تلهِهِ، ولم تبعدْهُ عن واجباتِهِ وعن رباطةِ المنطقِ، ولا ريبَ، فهو المحامي الذي لا يُجارى ولا يُبارى في مهنتِه، ولم تتلاشَ فيه الأَحاسيسُ والمشاعرُ، بل بقيَ شِعرُهُ في أَعلى مناطِ الأَحكامِ فكرًا وصياغةً وبلاغةً وبيانًا وما أَنعمَ اللهُ على الضَّادِ.

من ثوابتِ الشِّعرِ، أَنَّه لا يظهرُ إِلاَّ على الأَرواحِ الملأى بالغنى. فأَخالُ الشَّاعر ريمون عازار، ما كتبَ الشِّعرَ إِلاَّ في كفافِ النفسِ المترعةِ بالسكينةِ والبالِ المطمئنّ.

قصيدتُه مستنفدةُ الطاقات.

لم يُخيِّمْ على التراكيبِ الغموضُ والإِرهاقُ، ولا انتابَها ظلٌّ مُتعِبٌ، بل بقيت على رصانتِها وحقيقةِ توليدِها المعتدل ليتجاوبَ القولُ مع طفحِ الدواةِ، والأَسماعِ والرُّواءِ العَدنيّ.

وإِذا حاولنا أَن نلحقَ بالفواصلِ الشِّعريَّةِ، فإِنَّنا نجدُ فيه وارثَ الدِّيباجــةِ عن شعراءِ الجمالِ، والتنوُّقَ التعبيريّ،

١٠

وسرعةَ الخاطرِ، والشَّاعرَ الذي يلفُّ كلامَهُ بالصّنعةِ العُلى من غير تعمُّدٍ.

أَتمثَّلُهُ وهو يتركُ الأَشياءَ على مبتغاها، كأَنَّه من بني عبد مناف الذين يخلطونَ الأطيابَ، بأَناملَ مطيَّبةٍ.

هذا الشَّاعرُ نَهَضَ به شِعرُهُ إِلى حيث أَرادَ وابتغى، وَسَمَتْ به أَخلاقُهُ إِلى مدًى غير منظورٍ.

فريمون عازار، أَتَصوَّرُهُ قادمًا من منازلِ الشِّعرِ الذي أحببناهُ، فباتَ من حقِّهِ أَن نردِّدَ ما قالَهُ أَبو الطيِّب:

وفؤادي مِن الملوكِ وإِن كا نَ لساني يَرى مِن الشّعراءِ

القصائدُ مُرتَّبَةٌ
بحَسَب التَّسلسُل الهِجائيِّ لأسماء مَن قيلَتْ فيهم

إِنَّ العَبقَرَ

إِنْ مالَ فقرٍ وُدرولا

على قمم الزمان

في ذكرى غياب الدّكتور ألبير مخَيبِر، ربيع ٢٠٠٦

ما غِبتَ، بل ما زِلتَ تخفقُ في القلوبِ
نهفو إليكَ كما العَليلُ إلى الطَّبيبِ

تُتْلى مدى الأيَّامِ سِفرَ تَعَبُّدٍ
للحقِّ تهدي في السَّلامِ وفي الحروبِ

لِيَظَلَّ لبنانُ الذي قدَّستَهُ
وطنًا على قِمَمِ الزَّمانِ بلا شُحوبِ.

١٢

حَرَمونُ مثلُكَ شَمْخَةٌ عُلويَّةٌ
وكَتَلْجِهِ الشَّعبُ اصطفاكَ بلا عُيوبِ

ثَبْتٌ كما صِنِّينُ، رَحْبٌ كالمَدى
حُصْنٌ إذا ما الشَّرُّ أَنذرَ بالهُبوبِ

بالفَقرِ تُغْني، بالمحبَّةِ تَغتَني
وغِناهُمُ مالٌ تكدَّسَ في الجيوبِ.

لمْ تَسألِ السَّاعي إليكَ مُؤمَّلاً
أَمِنَ البقاعِ أمِ الشَّمالِ أمِ الجنوبِ

فالأرضُ واحدةٌ، وشعبُكَ واحدٌ
وعليهِ تُمطِرُ مُزْنَةَ الخيرِ السَّكوبِ

إلاَّ لأجله ما اتَّخذتَ مناسكًا
آمَنتَ أنَّ اللهَ يُعبَدُ في الشُّعوبِ.

١٣

كَمْ زارَكَ المرضى كأنَّكَ مُرسَلٌ
إنْ مُسَّ ثوبُكَ جُدْتَ بالبُرءِ العجيبِ

كَمْ قد تركتَ، إذا دُعيتَ، مَجالِسًا
لِتُؤاسيَ الضُّعفاءَ في اليومِ العَصيبِ

ما همَّ أنْ تُلغى السِّياسةُ كلُّها
لِتُخَلِّصَ الإنسانَ مِن سُقْمٍ مُريبِ.

ورَفضتَ حربَ الآخرينَ، وسَادةً
مِنها، تُضِلُّ القومَ بالوَهمِ الكَذوبِ

فَتخاصَموا، وتَذابَحوا ، وتَقسَّموا
أشلاءَهُمْ، كالذِّئبِ يَنْهشُ بالنُّيوبِ

وتَجبَّروا، قالوا: تَلينُ فتَنضَوي،
فتَحطَّموا، وعبَرتَ أنتَ بلا نُدوبِ.

١٤

في ليلةٍ لَيلاءَ بِتَّ مُطَوَّقًا
فمَرَرتَ تَخْفَى عَبرَ عتماتِ المَغيبِ

وتَأمَّنَ الإجماعُ إلاَّ واحدًا...
فالبَدرُ غابَ وضاعَ في اللَّيلِ القَطوبِ

لكنَّما الآتي إليكَ مُعاهِدًا
وجوادُهُ التَّاريخُ يَصْهَلُ في السُّهوبِ:

لبنانُ للآبادِ يَبقى واحِدًا
حُرًّا، ونُعلِنُ دولةَ الحقِّ الغَلوبِ

وتواعدا،... فالشَّملُ مُلتئِمٌ غدًا...
مَن ظَنَّ أنَّ الغَدرَ يَكمُنُ في القريبِ

فتبخَّرَ الحلمُ الجميلُ وقد غَدا
شُعَلاً على جُزُرِ الرَّجاءِ المُستَطيبِ.

١٥

هل سجَّلَ التَّاريخُ ما قد قُلتَهُ:
"لَهمُ الجَلاءُ"... فَظُنَّ قولُكَ بالرَّهيبِ

وَتَطأطَأَتْ مِن خوفِها هاماتُهمْ
في "مَجلِسٍ" يَخشى ارتِداداتِ الرَّقيبِ

حَسَبوا البلادَ تَميدُ تحتَ نِعالِهمْ
والمؤمنينَ إلى الغَياهبِ واللَّهيبِ

لكنَّ "يومَ الأرز" فجَّرَ ثورةً
فَجلَوا، وغَصَّ النَّصرُ بالشَّعبِ الغَضوبِ.

ألبيرُ يا صِنْوَ السِّيادةِ والعُلى
يا رمزَ الاستقلالِ في الجَبَلِ المَهيبِ

وطنُ الرِّسالةِ مَن مِنَّا يُمثِّلُهُ
إلاَّكَ تُبهرُ بالتَّألُّقِ والطُّيوبِ

١٦

قد خِلتُ، في العَلياء، صوتَكَ صارِخًا:
لبنانُ بيتي، أَرجِعيني يا دُروبي

فهناكَ أَحيا بين أهلِ البؤسِ، ما
بينَ المُعَوَّقِ، والمُشَرَّدِ، والغريبِ

في البرلمانِ أذودُ، ولَتُصغِ الدُّنى
للعدلِ يَروي قصَّةَ الحقِّ السَّليبِ

فالأرضُ تَبقى جَنَّتي ورسالتي
لا في السَّماءِ، أضيقُ بالفَرَحِ الرَّتيبِ.

يا ساكنَ الأعلى، وقلبُكَ ها هنا
لِتُؤجِّجَ الإيمانَ بالوطنِ الحبيبِ

جاهَدتَ كي تُعْطَى بلادُكَ موقِعًا
في الشَّمسِ، تَلبَسُ حلَّةَ النُّورِ القَشيبِ

١٧

قُلْ للنُّجومِ: تَناثَري، فتُرابُنا
أغلى وأجملُ منكِ في الفَلَكِ الرَّحيبِ.

١٨

يمشي التراب

في الذِّكرى الأولى لغياب الشَّاعر إيليَّا ابو شديد، ١٩٩٨

هلْ مثلُكَ الشِّعرُ، أمْ هلْ مثلُكَ الشِّيَمُ
أم قد شَدَوتَ، فكانَ الشِّعرُ والكَرَمُ؟

أم جِئتَ تتركُ في إبداعنا أثرًا
كأنَّهُ الأرزُ في لبنانَ والقِمَمُ؟

جلوتَ لهجتَنا، ألبَستَها حُلَلاً
حتَّى لَتزهوَ كالفصحى وتُلتَزَمُ

١٩

كشفتَ فيها بُحورًا ما لها عَدَدٌ
تُوحي وتَنطقُ ما شاءَتْ بها الكَلِمُ

وتوَّجوكَ أميرًا فوقَ ثالثةٍ
مِن المدارسِ فيها الشِّعرُ يَعتصِمُ.

إنْ ظلَّ شِعرُكَ بالمَحكِيِّ مُنسَكِبًا
فإنَّه الفَتحُ مَعقودٌ لهُ العلمُ

يَعلو ويَعلو فلا نَسرٌ يُطاولُهُ
إلاَّ إليه عُلًى ما تاقَتِ النُّجُمُ

يَمشي التُّرابُ إذا خاطبتَهُ وَلِهًا
ويُمَّحى القفرُ أنَّى شئتَ والعَدَمُ.

٢٠

يا ذا المروءةِ والأبوابُ مُشْرَعَةٌ
تُهدي وتَعضُدُ مَنْ زَلَّتْ بهِ قَدَمُ

قِيلَ الصَّداقةُ، قُلنا أنتَ سيِّدُها
وقيلَ في النُّبلِ: فيكَ النُّبلُ يُختَتَمُ.

يا راسخَ الرَّأي لا تُخفَى مَقاصِدُهُ
يا ثورةَ الحقِّ لا تنفَكُّ تَقتَحِمُ

ترتدُّ عنكَ قوى التَّدميرِ لاهِثَةً
كأنَّكَ الطُّودُ لا ينهَدُّ والهَرَمُ.

أخي، ذكرتُكَ، كَمْ عانَيتَ مِن أَلَمٍ
وكَمْ تَمَزَّقتَ والأحداثُ تَحتدِمُ

٢١

أنَّى توجَّهتَ كانَ الفَتكُ مُزدحمًا
وكانَ لبنانُ ما عاثوا وما هَدَموا

دَكُّوا الحضارةَ، ظَنُّوا أنَّ مملكَةً
تُبنى على القَهرِ، ملكٌ ليسَ يَنصرمُ

وما دَرَوا أنَّ للتَّاريخِ غَضبَتَهُ
والحقَّ يَعلو وأنَّ الخاسرينَ هُمُ.

رَدَدْتَ بالشِّعرِ تُلغي الحربَ من غَدِنا
بالحرفِ لا الحربِ تَبني مَجدَها الأُمَمُ

إنْ ظَلَّ وجهُكَ للأعداء مُبتَسِمًا
فالحبُّ وَحدَهُ للأعداءِ يَبتسمُ.

٢٢

يا شاعرَ اللَّحظةِ العذراءِ تُنزِلُها
كما النُّبوءَةُ وَهجًا والمَدى ظُلَمُ

يا شاعرَ الوَمضِ والإبداعِ تُدهشُنا
برَوعةِ الفنِّ، بالأضدادِ تَنسجمُ

يا شاعرَ الأرضِ والإنسانِ كَمْ كَبُرَتْ
بشِعرِكَ الأرضُ والإنسانُ والقِيَمُ

يا شاعرَ الحبِّ، كَمْ للحُبِّ أغنيةٌ
مِنكَ النَّشيدُ، فيَسمو الصَّوتُ والنَّغَمُ

يا عاشِقًا، وعروسُ الشِّعرِ عاشِقَةٌ
بالحسنِ بالنُّورِ في رؤياكَ تَرتسمُ

الوَحيُ مِنها ورمزُ الخلقِ إمرأةٌ
والحبُّ دينٌ بهِ العشَّاقُ تَنتظمُ.

٢٣

إيليَّ يا مَن حَواري الشِّعرِ تقرأُهُ
ومَن إليهِ الكلامُ الفَصلُ يَحتكمُ

قالوا: مَضَيتَ! فأهلُ الأرضِ ما خَلَدُوا
قُلنا الخلودُ بما خطُّوا وما نَظَموا

يَمضي الزَّمانُ ويَبقى في ملاعبهِ
مَن ساحُه الشِّعرُ، أو مَن ساحُه القَلَمُ.

٢٤

كما النبيُّون

في ذكرى غياب الشَّاعر جورج غانم، ١٩٩٣

مَن قالَ تَمضي، ويَمضي العرسُ والشُّعَلُ
الشِّعرُ باقٍ، ومَكتوبٌ به الأزَلُ

وهل يُغَيَّبُ شِعرٌ كنتَ تُبدعُهُ
كأنَّ مِن رَبِّكَ الآياتُ تَنتقلُ

أرجعتُه الأمسَ، أحيا في منازلِهِ
فبعدَكَ السَّبعةُ الأيَّامُ تُبتَذَلُ

٢٥

كنَّا الأُخوَّةَ تَصفو في تواصُلنا
كخَمرةٍ عُتِّقَتْ ما شابَها زَغَلُ

إنْ مَسَّكَ الجرحُ مَرَّ السَّيفُ في كَبدي
وإنْ فرحتَ فقلبي الطَّائرُ الجَذِلُ

حدَّثتَ عنِّي فغارَ الزَّهرُ من أرجٍ
وجلتُ فيكَ فراحَت تَزدهـــي القِلَلُ

تَوَحَّدَ الرَّأيُ حتَّى قيلَ أيُّهما؟
كأنَّ عن واحدٍ لا عنهما سألوا

ما فرَّقَ الموتُ، نحن الموتَ نُسقِطُهُ
الشِّعرُ أقوى به نَحيا ونتَّصلُ.

٢٦

من الثُّرَيَّا انطلَقنا أنجُمًا سَطَعَــت
في كلِّ أفقٍ ففاضَ الحبُّ والغَزَلُ

"إدمون" شعَّ، "وشوقي" زادَها كِبَرًا
ومرَّ "ميشالُ" بَدرًا كادَ يكتملُ

وجئتُ أحملُ همَّ الخلقِ في قلمي
وفي الأعالي قِبابٌ شكَّها الأوَلُ

وكنتَ إنْ قلتَ، قالَ القومُ واحتَكَموا
وإنْ تَجَلَّيتَ باهوا الأرضَ واحتفلوا

مُذْ هَلَّ شِعرُكَ، بايَعناكَ فاندفَعتْ
أفراسُكَ البيضُ، وانشقَّتْ بكَ السُّبُلُ

ورحتَ تومِيءُ للدُّنيا، تحاورُها
ندًّا لندٍّ وتُعطيها فتتذهلُ.

٢٧

صِنِّينُ صِنوُكَ؟ أم صِنِّينُ أغنيةٌ
تَعلو، وعلّيقةُ الإشراقِ تَشتعلُ

بلى، فوجهُكَ سمحٌ في تَشامخِه
وغيدُ شِعرك بالنَّجماتِ تَكتحلُ

شرَّعتَ بحرَكَ، فالشُّطآنُ أشرعةٌ
والعمق دُرٌّ وفيه الشَّمسُ تغتسلُ

وَشَّيتَ بالزَّهوِ، بالألوانِ أحرفَنا
والحورُ في سحرها الألوانُ والحللُ

والعُريُ إنْ نَضَتِ الحسناءُ زينتَها
كشهقةِ الخلقِ لمَّا مَسَّ مَن جُبِلوا.

يا مَن تخطَّيتَ والرَّاياتُ شاهدةٌ
والحقُّ يشهدُ ما في حكمه خطلُ

٢٨

علَّيتَه الشِّعر؟ لا، فالقولُ مجتَزَأٌ
إنْ تُطلقِ النَّثرَ قالوا دونَه زُحَلُ

وكَمْ أمَمتَ الألى الأقلامُ حليتُهم
كأنَّ من حولك العبَّادُ تبتهلُ

تأتي المنابرَ، فالقاعاتُ حاشِدَةٌ
فإنْ تَخَلَّفتَ غابَ الحَشدُ والجدلُ

كَمْ قلتَ لبنانَ، كَمْ شاكَيتَهُ وَجَعًا
كَمْ كنتَ تغفرُ حتَّى للألى قتلوا

كَمْ كنتَ في التِّيه صوتَ الوعدِ تُنبئُنا:
يأتي من المَجد فوق الصَّهوةِ البطلُ

٢٩

قلتَ العروبةُ نَمشي في طلائعها
هَدْيًا، فتمشي بها البيداءُ والجبلُ

ما راعَنا الخوفُ، في أعراقنا هِمَمٌ
توسِّعُ الكونَ، لا في الخوفِ تنعزلُ

شعبٌ يعزِّزُ باسم اللهِ وَحدتَه
لا بالطَّوائف، مَن طافوا بنا أفلوا

نحنُ السِّيادةُ نحنُ الحقُّ في وطنٍ
نبقى ويَجلون إنْ حَلُّوا وإنْ رَحَلوا

يا ابنَ العَنادلِ والشُّخروبِ، كَمْ بَزغَتْ
مِن أرضكَ الشَّمسُ، كَمْ عَزَّتْ بكَ المُثُلُ

٣٠

يا ابنَ الذُّرى البكرِ والأغوارِ كَمْ أخذَتْ
عنكَ الحساسينُ والعقبانُ والحجلُ

من سنديانٍ ومن صخرٍ وأجنحة
"ضهرُ الحصين" ابتناهُ الشَّاعرُ الجللُ

لبَيته المَجدُ، "عبد الله" من جبلٍ
فردٍ، تطلَّعَ بالأبناءِ فامتَثلوا

على الكواكبِ نَقشٌ من قصائدهم
وباليراعةِ أنَّى شِئتَهم وصلوا

يا شاعرَ الحبِّ والأوتار تلهبُها
كما النَّبيُّونُ في أسفارهم فعَلوا

٣١

هنا نزلتَ فحوَّلتَ الثَّرى شُهُبًا
واليومَ، من فوقُ، عادَتْ منكَ تُقتَبَلُ

الخلدُ دارُكَ والأجيالُ راجِعَةٌ
إلى الينابيع، أنتَ الكوثرُ النَّهلُ

ويقرأُ الدَّهرُ في آباده كُتُبًا
تظلُّ تُولَدُ في الدُّنيا وتُنتَحَلُ

كلُّ الأنامِ لهم في موتهم أجَلٌ
إلاَّ الأيِمَّةُ ما في موتهم أجَلُ.

٣٢

أقلامنا النقش في الدنيا

ذكرى غياب المحامي الأديب جوزِف باسيلا، ١٩٩٤

علَّيتَ فاسطَعْ، مَداكَ الحقُّ والخُلُدُ
فإنَّما الشَّمسُ فـــي العَلياءِ تَتَّقدُ

ولَتَرْتَدِ الأرضُ وهجًا في تجدّدها
كما أهَلَّتْ لديكَ الأحرفُ الجُدُدُ

هناكَ صرتَ الهدى يَنهلُّ في ديَمٍ
وها هنا بـــ "شَقيقِ" الضَّوءِ يُرتَشَدُ

فعندنا الأرضُ لا تنفَكُّ مُشرقَةً
وعندكَ الشَّمسَ في الجَنَّاتِ تَبتَردُ.

٣٣

في "مجلِسِ المَتن" كَمْ أعلامُكَ ارتفعَتْ
يومَ الرِّئاساتُ إقدامٌ ولا عُقَدُ

مَدَدتَهُ البحرَ، كنتَ الرِّيحَ تدفعُنا
فتعبرُ السُّفنُ، والآفاقُ تبتعدُ

إنْ لَفَّكَ الصَّمتُ، خِلنا الطُّورَ مُنحنِيًا
وإنْ نطَقتَ، تَغاوى في الصَّدى الجَلَدُ

كَمْ كنتَ للحبِّ، والشِّيماتُ عاليةٌ
وغَضبَةَ الأُسْدِ إمَّا ضِيمَتِ الأُسُدُ

كَمْ كُنتَهُ السَّيفَ، لا ينفكُّ مُمتَشَقًا
حُرًّا، لِتَحسمَ، حينَ الحقُّ يُضطَهَدُ.

قُلْ للثَّقافة، مَن إلاَّكَ هَدهَدَهُ
حُلْمٌ كما الهَرَمُ العملاقُ يَنعقِدُ

٣٤

فيَستَوي القلمُ المبريُّ منطلقًا
مسارُهُ الخلقُ، والحرِّيَّةُ المَدَدُ

قُلْ للثَّقافة، ما لبنانُ مُنغلِقٌ
والمُقفِلونَ ثُغورَ النُّورِ ما وُلِدوا

هنا اللُّغاتُ، ومُذْ كنَّا نُجسِّدُها
نُغْني ونُغنَى، فما للنُّورِ مُعتَقَدُ

الضَّادُ نحنُ، لها لبنانُ مُعتَصَمٌ
ودونَ لبنانَ لا ضادٌ ولا عَضَدُ.

يا ابنَ المُحاماةِ، كَمْ ساءَلتَ مُزدَهِيًا
أيذكُرُ المَجدُ كَمْ فُرسانُكِ انفَردوا

٣٥

في الفِقهِ، في الفِكرِ، في الإبداعِ صَولتُهمْ
وفي السِّياسةِ سَيلُ الرُّسْلِ يَطَّرِدُ

هُمُ البطولاتُ، هُمْ لبنانُ في دَمِهم
هُمُ القيادَاتُ، هُمْ في الهيكلِ العُمُدُ

قصرُ العدالةِ، كَمْ ألهَبتَ ساحتَهُ
أنتَ الكمِيُّ العصِيُّ الرَّائدُ الغَرِدُ

تَحني المحاكمُ، إنْ رافعْتَ، هامتَها
وقولُكَ الفَصلُ، تُستَفْتى فيُعتَمَدُ.

يا ذا البيانِ، وكانَ البَدءُ في كَلِمٍ
يقولُها اللهُ، والأكوانُ تَحتشِدُ

٣٦

مَن أنتَ؟ مَن نحنُ؟ إلاَّ معشرٌ قبلوا
سرَّ البَيان، وفي أُردُنِّه اعتَمَدوا

وأكمَلوا الكونَ، فالبَيداءُ يانعةٌ
والعلمُ فَتحٌ، وما في الغَيبِ يَنْوَجِدُ

أقلامُنا النَّقشُ في الدُّنيا يُخلِّدُها
وإنْ مَضَينا سَما مِن نَقشنا الخُلُدُ.

٣٧

شهيد لبنان

يوم استشهاد دولة الرَّئيس رفيق الحريري، آذار ٢٠٠٥

ما لفَّكَ الموتُ، بل قد ضمَّكَ الأبدُ
ليس الضَّريحُ هنا، بل دارُكَ الخُلُدُ

تحيا الزَّمانَ، وتبقى الدَّهرَ مُنْتَظَرًا
كما الأَيِمَّةُ قد غابوا وما رقدوا

لبنانُ فيكَ الذّرى، نَقشٌ على نُجُمٍ
ويشهدُ العربُ أنْ مِن أرزِهِ العُمُدُ.

٣٨

لِقَومكَ الفخرُ، كَمْ مثَّلتَ تَوقَهُمُ
ما فرَّقَ الدِّينُ، مِنْ إيماننا العَضَدُ

مثَّلتَ لبنانَ، بهِ قد بتَّ مُندَمِجًا
حتَّى تماثلَ فيكَ القومُ والبلدُ

منكَ الينابيعُ تجري في تدفُّقها
فيَرتوي القفرُ والخيراتُ تُحتَصَدُ

بَعثتَها المُدنَ، تَزهو في توهُّجها
والمستحيلُ غَدا طوعًا فينعقدُ.

مِن شطِّ صيدا، ومُذ قدموسُ، راحِلَةٌ
بهِ المراكبُ صوبَ الغربِ تَحتشِدُ

٣٩

نَرنو إليكَ، كأنْ فينيقيا انتفَضَتْ
تُعطي الحضارةَ بُعدًا ما لهُ بُعُدُ

يا ابنَ العروبةِ، مِنْ لبنانَ نهضتُها
فيها التَّلاقي، ومنها الشَّرقُ يرتَشِدُ

جنَّدتَ جيشَكَ آلافًا مؤلَّفَةً
مِن العقول، وجيشٌ منهُم الحسدُ

هتفتَ: بيروتُ، قومي، ألمَدى حلَكٌ
فدُحرِجَ الصَّخرُ عنها، واستَوى الجَسَدُ.

شئتَ السِّيادةَ، ظنُّوا القتلَ يَصرعُها
وفَجَّروكَ، فهبَّ المارِدُ المَرِدُ

٤٠

ودوَّتِ الأرضُ: إستقلالُنا حرمٌ
إنْ مَسَّهُ الجورُ، ثارَ الفِتيَةُ الأُسُدُ

همْ يعبرونَ، وقد أطلقتَ شعلتَهُمْ،
مسالكَ النُّورِ، والأجيالُ تطَّردُ

أحيَيتَ بالموت ما قد كان مُمتَنَعًا
سلمًا تداعى، فزالَ الخُلْفُ والعُقَدُ

صرتَ القرارَ، وللحرِّيَّةِ ارتفعَتْ
أعلامُنا البيضُ والحمراءُ، فارتَعَدوا

كتابُنا الحبُّ، نهديهِ، وما عَلِموا
أنَّ السُّيوفَ بصَدرِ الحقدِ تَنغَمِدُ

هاتوا الأيادي، أعزَّاءً، فلا غَلَبٌ
مِن فوقنا اللهُ، غيرُ اللهِ لا أحدُ.

٤١

أذهلتَ أنَّى توجَّهتَ الدُّنى عجبًا
وهزَّها الهَولُ أنْ في السَّاح تُفتَقَدُ

أحببتَ لبنانَ، حتّى الموتِ، تَقحَمُهُ
مَن قد تَخطّوا رؤى التَّاريخِ لم يَحِدوا

نمشي إليكَ، فلا الزِّلزالُ يردعُنا
أضحى الفداءُ لنا قوتًا فيُعتَمَدُ.

في يومِكِ الفردِ، راحَ الكونُ يُدهِشُهُ
صوتُ المآذنِ بالأجراسِ يَتَّحِدُ

شهيدَ لبنانَ قد ضمَّتكَ ساحتُهُ
في مَسجدِ اللهِ، فابْقَ الحلمَ يَتَّقِدُ.

٤٢

يستنبتون الأرض

تحيَّةً إلى الشُّهداء، ١٩٩٨

تَوسَّلوا الغَدرَ،
ظنُّوا الموتَ يصرعُكُمْ
وما دَرَوا
أنَّكمْ تَحيَونَ في الخُلُدِ
دماكُمُ الأرضُ تَرويها وتُنبِتُها
بالحقِّ والخَيرِ
أبطالاً إلى الأبدِ

٤٣

شعب من الأحلام

في الذِّكرى الأولى لغياب عاصي الرَّحباني

أنتمْ مِن الأرضِ، أم أنتمْ مِن النُّجُمِ
أم أنتمُ مِن سُطوعِ الشِّعر في الظُّلُمِ

أم مطلعُ الشَّرقِ، نحنُ الشَّرقُ مُختَزَلٌ
عبرَ الألوهةِ، مِن وَحيٍ ومِن قِيَمِ

أنتمْ رحابنةٌ، شُمٌّ، على يدكُمْ
تفجَّرَتْ سُدمٌ في أفقِها الهَرِمِ

٤٤

وجالَ عاصي، فكانَ الحلمُ ملعبَهُ
وكانَ كالأرزةِ الخضراءِ في العَلَمِ

أعطاهُ ربُّهُ عُودًا شاخَ في يدهِ
فأكملَ الخَلْقَ بالألحان والكَلِمِ

ومَجَّدَ الشَّعبَ، ما أغرَتهُ أنظمَةٌ
تبقى الشُّعوبُ، وتَخبو ومضةُ النُّظُمِ

مِن فوقُ جدَّتُكمْ، واليَمُّ خاتَمُها
فكنتَ عاصي عناقَ اليَمِّ والقِمَمِ

أخذتَ من جبل الصَّوَّانِ شمختَهُ
والبحرُ ندُّكَ بالأعماق والكَرَمِ

٤٥

كنتَ الأصالةَ، أبعادًا مجنَّحَةً
كِنَّارةَ الرُّوحِ، نايَ البَدءِ والخُتُمِ

وهبتَنا العيدَ، أنتَ العيدُ يغمرُنا
بل أنتَ شعبٌ من الأحلامِ والشِّيَمِ

فيروزُ غَنَّتْ، تُرى بعدُ الغناءُ سوى
دربٍ إلى اللهِ عبرَ النُّورِ والنِّعَمِ

لبنانُ صارَ على آهاتِها وَطَنًا
فوقَ الجَمالِ، وفوقَ الضَّوءِ والحُلُمِ

لا تَخطفوه... صرختَ اليومَ مِن أبدٍ
لبنانُ أقوى، فغِبْ يا شرُّ وانعَدِمِ

٤٦

وقلتَ عاصي: زرعتُ الأرضَ في دمِكُمْ
قدَّستُها الأرضَ، غيرُ الأرضِ لمْ يَدُمِ

"غنَّيتُ مَكَّةَ"، أم أنشودةٌ سُمِعَتْ
مِن شَدو جبريلَ في أعيادِها الحُرُمِ

ويا شآمُ، ويا بغدادُ، كَم مُدُنٍ
من الفراتِ، وحتَّى القدسِ والهَرَمِ

أغناكِ لبنانُ، غنِّي المَجدَ وارتفِعي
بوَهجِ عاصي، كما مِن قَبلُ بالقَلَمِ

لو تَخشعينَ أمامَ الضَّادِ يَبعثُها
عبرَ الصَّوامعِ مِن أكفانها الرِّمَمِ

٤٧

فيعرفُ العُرْبُ أنَّ الأرضَ منبِتُهُمْ
بالقومِ عزُّوا، ولا بالتُّركِ والعَجَمِ

يُقالُ غِبْتَ؟ مَعاذَ الله أنتَ هنا
في الحبِّ، في الوردِ، في الأطيافِ، في الدِّيَمِ

في "موسمِ العزِّ" في ساحاتِ ضَيعتنا
وفي البطولاتِ، إنْ نادَيتَ نَنسجمِ

في بعلبكَّ، "وفخر الدِّين"، في شُهُبٍ
في موجَزِ الدَّهر، في آتٍ، وفي قِدَمِ

في كلِّ خفقةِ قلبٍ منكَ أغنيةٌ
منكَ التَّخطِّي، عبورُ الجرحِ والألَمِ.

٤٨

مَنصورُ، ما الفَتحُ، ما الأسطورةُ انطلقَتْ
إلاَّ وعلَّيتَ في القاماتِ والهِمَمِ

لا يسبرُ الكونَ إلاَّ ومضُ أغنيةٍ
والخَلْقُ، لا المالُ، يَعلو زرقةَ النُّجُمِ

فَيروزُ، أنتِ، وعاصي، والذّرى هتفَتْ:
يا شرقُ هَذي حُصونٌ، عزَّ واعتَصِمِ

لا تُقْسَمُنَّ، هوى لبنانَ وَحَّدَكُمْ
لبنانُ وَحِّدْ، ويا أعداءَهُ انقسِمي

عاصي، أترحلُ والأيَّامُ جامِحَةٌ
وشعبُكَ الحُرُّ أضحى لعبةَ الأمَمِ

٤٩

عاصي، أتسكتُ والأطيارُ ما صدَحَتْ
إلاَّ لِيُزهرَ صوتُ الحبِّ في الصَّمَمِ

عاصي، تمهَّلْ إليكَ الأرضُ لاهِفَةٌ
إنْ تَسقُطِ العُمْدُ بالأفلاكِ تنهَدِمِ

ولن تنامَ، ستبقى العرسَ في غدِنا
مَن كَوكَبَ الفنَّ والتَّاريخَ لمْ يَنَمِ

٥٠

سَفَرٌ الى الأبد

في يوم غياب المحامي الأديب المناضل عبدالله القبرصي، ٢٠٠٨

مَن كانَ في الأرضِ هذا الصَّاعِدُ العَجَبُ
تَساءَلَتْ أنجُمٌ في الأُفْقِ تَرتَقِبُ

مَن كانَ؟ قُلنا: فريدًا في تألُّقِه
تَسَربلَ الشَّمسَ، جاءَ الفُلْكَ يَغتصِبُ

هو المُحاماةُ، في ساحاتِها عَلَمٌ
هو العقيدةُ في التَّاريخ تَلتهِبُ

٥١

هو النِّضالُ ولو كَلَّتْ سواعِدُهُ
هو السَّحابُ إذا ما جفَّتِ السُّحْبُ

هو المحبَّةُ، غَمْرٌ في تَدَفُّقِهِ
هو البلاغةُ، وَهْوَ الشِّعرُ والأدبُ

مِن حِبركَ النُّورُ، بالأقمارِ تَنشُرُهُ
بالسَّافياتِ، وبالجنَّاتِ يَنسَكِبُ

كأنَّكَ الكورةُ الخضراءُ مُنهَمِرًا
فَيَنبُتُ الأرزُ والزَّيتونُ والعِنَبُ

سطعتَ تكتُبُ بالآياتِ أروعَها
فغارَتِ الكُتْبُ والأقلامُ والشُّهُبُ

٥٢

لمْ "تَصرَعِ السِّمْنَةَ" الهيفاءَ، بل بُعِثَتْ
شعرًا، تُرَدِّدُهُ الأنهارُ والهِضَبُ.

رافعتَ بالعَدل، علَّى "القَصرُ" هامَتَهُ
وقالتِ "القوسُ": أنتَ الفِقهُ والخُطَبُ

كنتَ المحامي أمينًا في رسالته
ورُحْتَ تَعضُدُ مَن بالظُّلمِ قد نُكِبوا

إنْ قيلَ "طوبى" بِذاكَ الصَّوتِ مِن جَبَلٍ
فأنتَ تُعنى لأنَّ الرَّحمةَ السَّبَبُ.

أللهُ في اسمِكَ، عبدَ اللهِ، كَمْ هِبَةٍ
منهُ إليكَ، وكَمْ شوهِدْتَ تَقتَرِبُ

٥٣

بالحقِّ، بالخَيرِ، بالإبداعِ تَعبُدُهُ
وبالجمالِ، بَهِيَّاتٌ بكَ الرُّتَبُ

شِئْتَ الصَّلاةَ جِهادًا لا قَرارَ لَهُ
وأنْ تَذوبَ، لِيُعطى النَّاسُ ما طَلَبوا

وأمَّةٌ، قُلْتَ نُحييها على قِيَمٍ
دربٌ إلى اللهِ في إِسرائِها الأَرَبُ.

لكَ الطَّبيعةُ، كَمْ غنَّيتَها شَغَفًا
وواكَبَتكَ الجبالُ الشّمُّ والشُّعَبُ

تَأوي إليها، فَيَنأى عنكَ عسكرُهُمْ
والمؤمنونَ، ولَوْ في التِّيهِ، ما غُلِبوا

٥٤

مَكَثتَ فيها، ظَلَلْتَ الطِّفْلَ يَعكُسُها
حتَّى الرَّحيلِ، فغابَ العاشِقُ العَذِبُ

مثلَ البنفسجِ في أشذائِهِ خَفَرٌ
وكالعواصفِ مُزْنٌ حينَ تَصطَخِبُ.

كلَّ العقائدِ قد حاوَرتَ فانفَتَحَتْ
عليكَ تُصغي، وصوتُ الحبِّ يجتَذِبُ

تُرَسِّخُ السِّلَمَ، حيثُ السِّلْمُ مُنكَسِرٌ
فلا عداوَةَ، حينَ الرَّأيُ يَضطَرِبُ.

مَن قالَ تُنسى، ويَخبو الوَمْضُ في أُفُقٍ
ويَنتهي الشَّدوُ، والأطيارُ تَغتَرِبُ؟

٥٥

ناضلتَ، أحبَبتَ، وَهَّجتَ الأُلى عَبَروا
هذا الزَّمانَ، وَخَطَّ الخُلْدِ ما كَتَبوا

ألحرفُ والحبُّ سِفْرٌ كانَ مِن أَزَلٍ
وإنَّكَ السِّفْرُ للآبادِ تَنتَسِبُ.

٥٦

عمره الدَّهر

في الذِّكرى الأولى لغياب كرم ملحم كرم، ١٩٦٢

لا تَقُلْ غابَ والزَّمانُ طَواهُ
عمرُهُ الدَّهرُ والخلودُ مَداهُ

وذُراهُ في عالمِ النُّورِ فَتحٌ
أيُّ فِكرٍ لَمْ يَستَظلَّ ذُراهْ.

أيقظَ الشَّعبَ صوتُهُ كلَّ فَجرٍ
واللَّيالي أطيافُها ما رَواهُ

٥٧

وتجلَّى في خِصبِهِ عَبقريًّا
وتسامي فلا يُطالُ عُلاهُ

أتعبَ الوحيَ والجمالَ وأغنى
مِن تُراثِ الأجدادِ ما أغناهُ.

جذعَ العُربُ يومَ قِيلَ تَوارى
وشَكا الأرزُ واليراعُ بَكاهُ

واعتَرى أفقَنا الرَّحيبَ ظلامٌ
وتَهاوى الضِّياءُ فوقَ ثراهُ

ومَشى موكِبُ الخلودِ يُحيِّي
عائدًا بالأمجاد من دُنياهُ.

٥٨

يا سِراجًا ما ضَنَّ بالزَّيتِ نورًا
في دُروب الأجيالِ ضاءَ سناهُ

يا أديبًا لهُ المنابرُ تَشدو
ويُنادي لبنانُ في ذِكراهُ

يسقطُ العرشُ والقصورُ ويبقى
للأديبِ الأديبِ ما قد بَناهُ.

٥٩

قلم لا يتعب

في مئويَّة كرم ملحم كرم، ٢٠٠٣

قُلْ لهذا الشَّرقِ: نحنُ العربُ
كَتبوا بالحقِّ أمْ لَمْ يكتبوا

أنقذَ الدَّهرُ بنا أمَّتَهم
لَو تَوانَينا لَحُلَّ الخَطَبُ

واضمحلَّتْ لغةٌ قُدسيَّةٌ
وامَّحَتْ آثارُنا والنُّخَبُ

٦٠

واستباحَ التُّركُ ما كانَ لنا
وانْتَشَوا بالقَول: ولَّى العربُ.

ذاكِرٌ يا دهرُ مِن أقلامنا
صرخةً دَوَّتْ فعَمَّ الغضبُ

وصَحا التَّاريخُ من غفوتِهِ
ثارَتِ الصَّحراءُ، هَبَّ المغربُ

فإذا النَّهضةُ فجرٌ زاحِفٌ
وإذا راياتُنا تقتَربُ.

ذاكِرٌ يا دهرُ كَمْ رُوَّادُنا
أثبَتوا في الشَّرقِ أنَّا العَصَبُ

٦١

توِّجِ اليومَ أميرًا منهمُ
يَزدهي الغارُ به والرُّتَبُ

منذ قرنٍ بشَّرَ النُّورُ بهِ
فتلاقَتْ بالعناقِ الشُّهُبُ

كرمٌ مِن كرمٍ جاءَ، فما
جادَهُ البحرُ الرَّحيبُ اللَّجِبُ

عالَمٌ مِن أدبٍ، يَحكي العُلى
صحفيٌّ حِبرُهُ يَلتهِبُ

ومَشى في النَّاسِ يستهدي النُّهى
رأيُه الحقُّ الطَّليقُ الأصلَبُ

٦٢

يكتبُ الفصحى فتَجري كوثَرًا
أو كنهرٍ فاضَ منه الذَّهَبُ

صفحاتٌ خِلتَها مُنزَلَةً
قُلْ قُرَيشٌ جَوَّدَتْ أو تَغلِبُ

مُفردٌ، كالشَّمسِ في ذُرْوَتِها،
كلَّما زادَ عطاءً يَخصِبُ

هَبَّ في أرجائنا "عاصفةً"
يومَ جارَ الحاكِمُ المُنتَدَبُ

صاعِقاتٌ صَبَّها مِثلَ الرَّدى
زلزلتْ أهلَ الغِوى فاحتَجَبوا

٦٣

ضامَهُ الحقُّ فما مالَ بهِ
يغضبُ الحقُّ ولا ينسَحبُ

يَطردُ الباعةَ مِن هيكلِهِ
كلَّ مَن عاثوا ومَن قد نَهَبوا

صحفيٌّ حقَّرَ المالَ إذا
شمخَ المالُ وراجَ الكَذِبُ

ليلتانِ، بعدَ ألفٍ، خطَّها
قلمٌ مِن عبقرٍ لا يتعَبُ

أعجزَتهم، فنأَوا عن مِثلها
فهي "ليلٌ" شمسُهُ لا تغربُ

٦٤

مستحيلاً كانَ أم أُحجِيَةً
أم كتابًا لَمْ تَسَعْهُ الكُتُبُ

إنْ روَى التَّاريخَ فَخرًا وسنًى
تسطعُ الشَّامُ، وتَزهو يَثرِبُ

أيُّها الشَّرقُ الذي ننشُدُهُ
هل دَهاكَ الموتُ أم قد تَثِبُ

هل تعودُ الظُّلمةُ الكبرى بنا
لعصورٍ دمَّرَتها النُّوَبُ

ألرِّسالاتُ هنا مهبِطُها
والحضاراتُ بنا تَحتسِبُ

٦٥

فافتَحوا الكونَ على أوطانِكم
واستَنيروا، جُلَّ مَن لا يُنكَبُ

أو تَموتوا ويُوارى مجدُكم
ويقولُ الدَّهرُ: حقًّا ذهبوا

لَمْ يَزَلْ في الأفقِ بعضٌ من ضُحًى
وصدًى مِن نهضةٍ يضطرِبُ

فخُذوا الحكمةَ مِن أَعلامنا
قَدِّسوهم، قامَ مَن قد صُلِبوا

وأقرأوا في "كرمٍ" تاريخَهُمْ
ولكُم قَبضُ العُلى والغَلَبُ

٦٦

بالآباد يتحد

في يوم غياب منصور الرَّحباني، ٢٠٠٩

ألأرزُ يَبكي، ذُرى لبنانَ تَرتعِدُ
وبَعلبكُّ التَوَتْ مِن حُزنِها العُمُدُ

وفي المدائنِ هَولٌ لا تُبَدِّدُهُ
إلاَّ الفَجيعةُ والأرزاءُ تَطَّرِدُ

غابَ المُتَوَّجُ، شقَّ الوحيُ بردَتَهُ
وأظلمَ الشِّعرُ، والإبداعُ يُفتَقَدُ.

٦٧

مِن بعدِ عاصي جَلا عن أرضِنا مَلِكٌ
لهُ النُّجومُ عروشٌ والمَدى أَبَدُ

أدَّى الرِّسالةَ ألحانًا مُجَنِّحَةً
شَدوًا وشِعرًا فَما مِن بعدِهِ أحدُ

فاسترجَعَ اللهُ مِن قَومٍ وَديعَتَهُ
إلى السَّماءِ، فلا يَجتاحُها الحَسَدُ

فالشَّملُ مُجتمِعٌ فيها ويُشعِلُها،
والأرضُ حزنٌ فلا هَزجٌ ولا رَغَدُ.

يا مالِىءَ الشَّرقِ بالأنغامِ مُذهِلَةً
أنتَ الينابيعُ منها الشَّرقُ يَبترِدُ

٦٨

يا أيُّها الرَّائي، تَصوغُ الحُلمَ، تُدهشُنا
نَحيا النُّبوءةَ، بالأشراقِ نَرتَشِدُ

ظلَّلْتَ لبنانَ بالنُّعمى، تُلَوِّنُهُ
بالحسنِ، بالسِّحرِ، بالإشعاعِ يتَّقِدُ

تساءَلَ الكونُ: هَل لبنانُ مِن صُوَرٍ
أم إنَّ لبنانَ بالفردوسِ يَنفرِدُ.

يا ذا التَّوَهُّجِ في آياتِهِ قَبَسٌ
مِن الألوهةِ، فيها اللهُ يَنْعَبِدُ

هيَ البَهاءُ، رَنينُ الخلقِ مِن أَزَلٍ
هيَ الهياكلُ والتَّجويدُ والخُلُدُ

٦٩

في كلِّ قفرٍ لها الواحاتُ أروَعُها
في كلِّ بحرٍ لها الأعماقُ والزَّبَدُ

يَستَنزِلُ الشِّعرُ، إنْ غَنَّيتَه، شُهُبًا
يَطوي الزَّمانَ، وبالآبادِ يتَّحِدُ.

منكَ المَشاعِلُ، والأبواقُ لامِعَةٌ
تدورُ سَبعًا، تدكُّ السُّورَ، يَنهمِدُ

منكَ المَسارِحُ والأبطالُ زاحِفَةٌ
كأنَّما ثورةُ الأحرار تَنعقِدُ

بجولَةِ الحقِّ يَحمي الشَّعبُ رايتَهُ
سُيوفُهُ الحبُّ، أنَّى شِئتَ تَنغمِدُ

٧٠

بَيارقُ العِزِّ خَفْقٌ في مَواكبِهِ
والمكرُماتُ حُشودٌ ما لَها عَدَدُ.

يا أيُّها العُرْبُ أَغناكُمْ رَحابِنَةٌ
بالمُنجِزاتِ كَما لَمْ يُغنِكُمْ بَلَدُ

جاؤوا يُجِلُّونَ بالإلهامِ مِن جَبَلٍ
كلَّ النَّبِيِّينَ لهم مِن وَحيِهِ مَدَدُ

تَلألأتْ مُدُنُكُمْ، فَيروزُ توقِظُها
بالفنِّ إنْ يُوقَظُ التَّاريخُ يَحتَشِدُ

دَعوهُ لبنانَ نورًا يُستَضاءُ بِهِ
لا تُطفِئوهُ، فيَغشَى المَشرِقَ الرَّمَدُ

٧١

مِن عصرِ قَدموسَ حتَّى اليومِ مَوطِنُنا
في كلِّ فَتْحٍ بَدا أبناؤُهُ الأُسُدُ.

عاصي، تُسافرُ في العالي، تحاوِرُنا
تُوحي، فإنَّك في دُنيا الجَمالِ غَدُ

مَنصورُ منكَ ومنهُ، أنتما وَطَنٌ
ثبتُ الكِيانِ، فلا فَصلٌ ولا بُعُدُ

إنْ تَعبرا الأفْقَ صَوبَ الغَيبِ لا جَذَعٌ
لا تَنطَفي الشَّمسُ أَنْ في البحرِ تَعتَمِدُ

مَن قالَ بالمَوتِ يَغدو العمرُ مُنقَضِيًا
إنَّ العَباقرَ إنْ ماتوا فقد وُلِدوا.

٧٢

وَحدَه العالي يَقع

في يوم استِشهاد المحامي المناضِل موسى تامر، ١٩٨٦

هَلَعٌ...
وترتجفُ السَّماءُ
ولحظةٌ كالسَّيفِ تُمعِنُ في الزَّمانِ
غَضَبٌ...
وتتكفِىءُ الشُّموسُ
وقد تخضَّبَ بالدَّمِ المِهراقِ
وجهُ النَّيِّرانِ

٧٣

ماذا؟
أَزَحْلَةُ أجهضَتْ تاريخَها
فكأنَّها العملاقُ يَسقطُ
في بدايات الرِّهانِ؟

موسى،
أيُمكِنُ أنْ يُسَلَّ اللَّيلُ
مِن غمدِ الصَّباحِ؟
موسى،
أيُمكِنُ أنْ يُراقَ الوردُ
أن تُطوى الجراحُ على الجراحِ؟
أنْ لا تمرَّ على الضِّفافِ
ضراغِمُ النَّهرِ المُفَدَّى

٧٤

أنْ يَعيثَ الباطلُ المَسعورُ
بالحقِّ الصّراحِ؟

موسى،
أَيُسمَحُ أنْ يُزلزَلَ قلبُ أمِّكَ
أنْ تُجَندَلَ ضحكةُ الأطفالِ حولَكَ بالسِّلاحِ
فتَرى الطُّفولةَ
والأمومةَ
والمدينةَ
مثلَ أكواخِ الرِّياح؟

فَليَرفَعوكَ
فأنتَ وَحدَكَ قلتَ لا
ونَذَرتَ زَحْلَةَ للعُلى والعنفوانْ

٧٥

وحملتَ هَمَّ جبالها الشَّمَّاءِ
هَمَّ الأرزِ هَمَّ السِّنديانْ
ومَزَجتَ قلبَكَ بالقلوبِ
غَدَوتَ أوجاعَ الوجَعْ
ما هَمَّ أنْ تقعَ الكواكبُ
وَحدَهُ العالي يَقَعْ

إنْ غَيَّبوكَ،
ألا فَدَيتُك قُلْ لهمْ،
لن تُنتَسى
والسِّرُّ لا تَخفيهِ أبرادُ البَيانْ
غُيِّبتَ كي تَبقى الوجوهُ الصّفرُ
كي يُخلى لها صَدرُ المكانْ

٧٦

موسى فَديتُكَ بالنُّهى
بالنُّبلِ بالغَضَبِ المُقَدَّسِ
بالسُّطوعِ
بالدَّمعِ يَحفرُ في العيونِ
مآقيَ الألمِ المُريعِ
موسى،
ولنْ تَنأى الدِّيارُ
حفرتُ بيتَكَ في ضلوعي

إنْ يَسفَحوا دمَكَ الذَّكيَّ
فبَعدَهُ الأرضُ انفجارُ
وصَهيلُنا فوقَ المَدى
لا لنْ نُبَدَّدَ في الرَّدى

٧٧

إنْ أُقفِلَتْ في وجهنا الدُّنيا
انطلَقْنا للنُّجومِ الزُّرقِ
كي تُبنى بعصمتِها الدِّيارُ
ويعودُ فجرُ الشَّمسِ في لبنانَ
ينكشفُ الغبارُ
وتعودُ أنتَ وحولَكَ الشُّهداءُ
والإكليلُ غارُ

لهُمُ العُمرُ
بهاءً وقصائد

نَجيُّ الزَّهر

تحيَّةً إلى إدمون تامر، ٢٠٠٢

عُمرُهُ الحُبُّ،
وهَل للحُبِّ عُمرُ؟...
يَشمُخُ النَّسرُ وإنْ شاخَ
ويَحلو في دِنانِ الدَّهرِ خَمرُ

لا تَقُلْ قد جاوَرَ القرنَ، فمَنْ
سامَرَ النَّجماتِ في الأفلاكِ بَدرُ

٧٩

أو تَقُلْ في الأمسِ قد كانَ شَبابًا!
إنَّه الآنَ شَبابٌ، وسيَبقى،
فَنَجِيُّ الزَّهرِ، في الجَنَّاتِ، زَهْرُ

هُوذا الأولادُ والأحفادُ
مِن حولِكَ دُنيا،
لكَ فيها، أينما يَمَّمتَ، شَطْرُ
أرزةٌ أنتَ،
ونحنُ الغَرْسُ،
مِن رَيَّاكَ عِطرُ

فاسكُبِ الأيَّامَ مع "لَيلاكَ"
كأسًا مُستَطابًا
ليس فيها نَشوَةُ الآباءِ سكرُ

٨٠

وافرَحا، قد شِدتُما، بالحُبِّ
بيتًا مُستَضاءً
فالبناءُ الصّلبُ فوقَ الصَّخرِ،
صَخرُ

٨١

مَن إلاَّكَ مُعتَصَمُ

تحيَّةً الى فخامة الرَّئيس إميل لحُّود لِمناسبة تدشين مشروع مياه قطين عازار في عينطورة المتن، ٢٠٠٢

في ذروةِ المَتنِ مَعقودٌ لكَ الشَّمَمُ
قِفْ في الأعالي، فِداكَ المَتنُ والقِمَمُ

وبَشِّرِ الشَّعبَ أنْ لبنانَ مُنتَصِرٌ
لِلخُلدِ لبنانُ، لا موتٌ ولا عَدَمُ

أبناؤه الأُسْدُ ما هانوا وما يَئِسوا
وفي العزائمِ نارُ العَزمِ تضطَرِمُ

٨٢

مَن كانَ مِثلُكَ فالإعصارُ يَرهَبُهُ
تَمضي الرِّياحُ ويَبقى الخَيرُ والنِّعَمُ

مِن صخرِنا الصَّلدِ فَجِّرْ ماءَنا زَبَدًا
ولَيْرتَوِ النَّاسُ، أنتَ النَّبعُ والدِّيمُ

قُلْ للمياهِ انهَضي مِن تحتِ تُربتنا
كما "لَعازَرُ" أحيَتْ رمسَهُ الكَلِمُ

"شَبروحُ" قامَ، وحُلمُ الجرد تُنجِزُهُ
واليومَ تأتي وحُلمُ المَتنِ يَنتظِمُ

هناكَ سدٌّ وفي المَتنِ ارتَوى عَطَشٌ
مِن "كهفِ عازارَ" دَفقٌ دونَهُ الكَرَمُ.

٨٣

يا جامِعَ المَجدِ جنديًّا، ومؤتَمَنًا
على المصيرِ، تألَّقْ تَنجَلِ الظُّلَمُ

لَولاكَ ما عَزَّ أمنٌ أو زَها وَطَنٌ
لَولاكَ ما كانَتِ الأحداثُ تُختَتَمُ

صُنتَ الشَّمالَ، وفي أقصى الجَنوبِ رأتْ
عَواصِمُ الأرضِ إسرائيلَ تَنهَزِمُ

إنْ قِيلَ جيشٌ، فمَن إلاَّكَ وَحَّدَهُ
وفي المُلمَّاتِ مَن إلاَّكَ مُعتَصَمُ

كنتَ الرَّئيسَ فما ميَّزتَ طائفةً
كذا الأبوَّةُ في الأبناء تَلتَئِمُ

أجدادُكَ الصِّيدُ والتَّاريخُ يكتُبُهم
أنَّ الحوارَ وأنَّ الإنفتاحَ همُ.

٨٤

يا قوَّةَ الحقِّ، شيِّدْ في العُلى قِمَمًا
حتَّى لَيُسأَلَ هَل مِن وَهجِها النُّجُمُ

سيوفُكَ الشَّعبُ، أنَّى شِئتَ تشهرُها
وفي المَحافلِ جيشٌ عندَكَ القَلَمُ

أنتَ الثَّوابِتُ لا تَنفَكُّ تَحفظُها
تَهوي الجبالُ ولا يُطوى لنا عَلَمُ.

٨٥

من قربك النجم

تحيَّةً إلى القاضي جوني القزِّي، ٢٠٠٥

أَلعِلمُ والعدلُ والوِجدانُ والقِيَمُ
والخُلْقُ والحلمُ والقانونُ والقلمُ

هَذي المناراتُ في أَمدائِكَ ارتفعَتْ
والحقُّ عندَكَ أَنَّى كنتَ يَبتسِمُ

تَحيا القضاءَ، وقد وُلِّيْتَ سدَّتَهُ
كأَنَّما الرُّسْلُ في إيمانهم ضَرَمُ.

٨٦

كتابُكَ الحَدُّ، لا الأهواءُ تُدرِكُهُ
ولا الشَّفاعةُ والتَّرهيبُ والكَرَمُ

ثَبْتٌ قرارُكَ، كالبنيانِ تَرصُفُهُ
والإجتهادُ إذا ما قُلتَ يَنتظِمُ

مَن كانَ مِثلُكَ فالإبداعُ يَسكُنُهُ
إنْ يُبْدِ رأيًا فإنَّ الرَّأيَ يَنبَرِمُ

أحكامُكَ العدلُ تَتلوها مجنَّحةً
كالسَّيفِ تَفْصِلُ، كالآياتِ تُحتَرَمُ

سألتُ ربَّكَ أنْ يَرعاكَ في صُعُدٍ
تَعلو، وتَعلو، كأنْ مِن قُربِكَ النُّجُمُ.

تُصالِحُ النَّاسَ، تَشقى في محبَّتهم
فيلتَقونَ، كَأَنْ مِن غَيثِكَ النِّعَمُ

٨٧

يأتونَ "قَوسَكَ" والأحقادُ لاهِبَةٌ
ويَنتهونَ فلا حِقدٌ ولا أَلَمُ

أسمى الرِّسالاتِ صلحٌ لا محاكمةٌ
ألصُّلحُ يغفرُ، والأحكامُ تَنتقِمُ.

"جوني"، نُجِلُّكَ، إنْ صالَحتَ أوْ حكَمَتْ
يَراعةُ الحقِّ في يُمناكَ تَعْتَصِمُ

يا ذا النَّصاعةِ، منها النُّخبَةُ انطَلَقَتْ
تُرَسِّخُ العدلَ، تُرسي ملكَها الأُمَمُ

تَرنو إليكَ قُصورُ العَدلِ مُعجَبَةً
فاسطَعْ، فإنَّك في أفلاكِها عَلَمُ.

شِعْرُ الرِّياض

في يوم تكريم الشَّاعر رياض المَعلوف في مجلس الفِكر، ١٩٩٥

ألمَجدُ للشِّعرِ، حينَ الشِّعرُ يُختَصَرُ
بِصرخَةِ البَدءِ: كُنْ، والخَلْقُ يَنتَشِرُ

فالشِّعرُ أنْ تَجبُلَ الدُّنيا وتُبدِعُها
كَفِعلِ رَبِّكَ، آنَ الحُسنَ يُبتَكَرُ

وما القصيدةُ إلاَّ الوَمْضُ في حُجُبٍ
كأنَّها النَّارُ تُذكِيها فتَستَعِرُ.

٨٩

منَّا، مِن الوَحيِ، والآياتُ نَصنَعُها
لا لَمْ تَكُنْ قَبلُ، منَّا الصَّقلُ والوَتَرُ

يبقى الجمالُ إذا ما ظَلَّ يُلهِبُهُ
أهلُ الجمال، ويَفنى إنْ هُمُ اندَثَروا.

رياضُ شِعرُكَ مِثلُ الرَّوضِ في عَدَنٍ
تَمشي القصائدُ، والأقمارُ تَنهمرُ

كأنَّها الحورُ لا وَشيٌ يُزَيِّنُها
في عريِها السِّحرُ، فَهْيَ الأصلُ والصُّوَرُ

لكَ الدَّواوينُ أنَّى شِئتَها انطَلَقَتْ
كما الينابيعُ في لبنانَ والزَّهَرُ

أنشدتُ شِعرَكَ، لا أنفَكُّ أَنْشُدُهُ
والعاشقونَ إذا ما زِدتُهُمْ سَكِروا.

٩٠

يا ابنَ الأصائِلِ صارَ الشِّعرُ "زَحلَتَكم"
"عيسى" وأبناؤه في مَجدِها خَطَروا

فرسانُها الصِّيدُ في العَلياءِ ساحتُهُمْ
هُمُ الرِّيادَةُ، شَقُّوا الغَيْبَ وانتَصَروا

"قَدموسُ"، "عَبقَرُ"، "جِلنارٌ"، أَتذكُرُها
هنَّ الشَّواهِقُ، عنها الطَّرْفُ يَنحَسِرُ.

فاحمِلْ تراثَكَ، واتْلُ منهُ ما كَتَبَتْ
تلكَ الفَرائِدُ يَتْلُ سِفرَهْ الدَّهَرُ

وانْثُرْ حروفَكَ، رَصِّعْ في المَدى حَلَكًا
إنَّ الكواكِبَ في الأفلاكِ تَنتَثِرُ

٩١

وبَشِّرِ الأرضَ أنْ مِن عَبقَرٍ نَزَلَتْ
مَواكِبٌ، أنتَ منها السَّمْعُ والبَصَرُ.

يا حامِلَ الغارِ قُلْ أيَّامُنا رَجَعَتْ
ألحقُّ يَهْدُرُ، والرَّاياتُ تَنتظِرُ

يُلْغى الضِّياءُ ولا تُلغى رسالتُنا
بالأمسِ كنَّا، ونبقى العقلَ يُعتَصَرُ

إن مُسَّ لبنانُ أضحى الشَّرقُ في خَطَرٍ
وإنْ تَعافى نَأَى عن شرقِنا الخَطَرُ

قُلْ للشَّآمِ، لِمِصرٍ، لِلعراقِ، وَمَا
شَدا بِهِ العُرْبُ والأعجامُ وافتَخَروا

٩٢

لبنانُنا الشِّعرُ، أعطى الضَّادَ آلهةً
في كلِّ عَصرٍ جَثا في قُدسِها البَشَرُ

٩٣

سِفرُ العمر

تحيَّةً إلى العلاَّمة الأب صبحي حموي عند بلوغه الثَّمانين.

كُلَّما العُمرُ تَهادى
صُعُدًا صَوبَ القِمَمْ
بِجَناحَينِ بَهيَّينِ:
كتابٍ وقَلَمْ
قُلْتَ إنَّ الحُبَّ آتٍ
يَنشُرُ النُّورَ ويَسخو بالدِّيَمْ.

٩٤

حَولَكَ الأسفارُ تَجلوها
وتُعليها مَنائِرْ
كلماتٌ مُنزَلاتٌ
تَرتدي مِن لغةِ الضَّادِ وتأتي
مِن أقاصي الأرضِ تأتي
مِن حكاياتِ الأزَلْ
هنَّ للنَّاسِ رِسالاتٌ وهَدْيٌ
هنَّ للنَّاسِ حياةٌ وأمَلْ

يا يَراعًا في الثَّمانينَ
وَوَهْجُ الحبرِ يَبدو
في الصَّباحاتِ الأُوَلْ
يا لِسانًا عربيًّا يُطلِقُ الصَّرخةَ في التِّيهِ نِداءً نَبويًّا

٩٥

يا حُروفًا غُمِسَتْ في الشَّمسِ
راحَتْ تَستعيدُ الغَربَ للشَّرقِ فتِيًّا
يا شِفاهًا مِن صلاةٍ
كلَّما انهَلَّتْ مِن اللهِ
على الأرضِ القُبَلْ.

الثَّمانونَ بداياتٌ إذا شِئنا
ودِفءٌ في الشِّتاءْ
وخَوابٍ وخُمورٌ
وامتِلاءٌ وانتِشاءْ
يَنقضي الصَّيفُ فنَحيا
في انعكاساتِ المَرايا والصُّوَرْ
نَستقي الماءَ مِن الذِّكرى
إذا جَفَّ المَطَرْ

٩٦

كلَّما شاخَت الأقلامُ
شَبَّ الحَرفُ واختالَ البَهاءْ.

فامتَطِ الصَّهوَةَ وامضِ وتَخَطَّى
بالنُّهى والنُّورِ أبعادَ الزَّمانْ
ما اعتَرى المؤمِنَ بالحقِّ الكَلَلْ
مَن يَخُطُّ العُمرَ سِفرًا
لا يُوافيهِ الأجَلْ.

٩٧

يتوِّج الكلمة والعدالة

تحيَّةً إلى القاضي الرَّئيس الأوَّل الدّكتور غالب غانم لِمناسبة صدور كتاب "بين الشَّائع والأصيل"، ١٩٩٢

ألحقُّ نحنُ، ونحنُ السَّيفُ والغضبُ
إنْ مُسَّتِ الأرضُ، أو إنْ مُسَّتِ الكُتُبُ

نستنهضُ الشَّعبَ، نَمشي في طلائعِهِ
فيسقطُ القَهرُ، والتِّنِّينُ يَرتعِبُ

سيفُ المحامينَ أقلامٌ مُسَنَّنَةٌ
وصرخةٌ توقظُ الدُّنيا فتَنقلِبُ

٩٨

يُروِّعُ الخوفُ أفواهًا فيعقلُها
وتُحجَبُ الشَّمسُ، ما خافوا وما احتجَبوا

إنَّ العدالةَ بعضٌ من تألُّقنا
والشَّرعُ بعضٌ، ومنَّا القادةُ النُّجُبُ

قيلَ اليبابُ وليسَ الشِّعرُ ريشتُكم
فقلتُ ننفخُ مثلَ اللهِ تَلتهِبُ

إنْ شِئتَ تدفعُ عن قومٍ ظلامَتَهُم
بالنَّصِّ نُدلي، وبالقانونِ نَعتصِبُ

أو شِئتَ في ليلةِ العشَّاقِ أغنيةً
نحنُ الحَساسينُ والعشَّاقُ والطَّرَبُ

٩٩

تشفُّ كلمتُنا حتَّى لَتَحسبُها
هيفاءَ تخطرُ والأنوارُ تنجذبُ

ويهتفُ الدَّهرُ مِن محرابِ هيكلِهِ
أنْ شِعرُنا الشِّعرُ، أنْ آدابُنا الأدبُ.

منَّا، ويَغدونَ مِن أنصافِ آلهةٍ
يُستنزَلُ العدلُ إنْ أقواسَهم نَصَبوا

تُبنى المَدائنُ، إنْ سالَتْ يَراعتُهم
وترجعُ الأرضُ غاباتٍ إذا ذهبوا

نالوا القليلَ فما ضنَّتْ أناملُهم
صَدُّوا الرِّياحَ، فما لانوا وما رَهِبوا

شُمٌّ، أصيلونَ، مِن بيروتَ حجَّتُهم
أمِّ الشَّرائِعِ، فِقهٌ كالمَدى رَحِبُ.

١٠٠

أهلُ القضاء ونحنُ: الدَّارُ واحدة
نأتي ويأتونَ، ما غِبنا وما اغتَربوا

يَمشي إليهم فَتانا "غالِبٌ" شَغَفًا
ويَغنمُ المجدَ، إنَّ المَجدَ يُغتَصَبُ

ما كانَ حرفًا ولا نسخًا لِما اجتَهدوا
بل كانَ روحًا وخلقًا منهُ يُكتَسَبُ

وجلَّلَ الحكمَ بالأبرادِ زاهيةً
فالشَّكلُ ركنٌ، وكالأركانِ يُنتَخَبُ

إذا قرأتَ فآياتٍ مجوَّدةً
فيها الرَّنينُ وفيها الدُّرُّ والذَّهبُ.

١٠١

إنْ جِئتَ تَسعى، فأُنسٌ في مَهابتِهِ
أو جِئتَ تَنهلُ، فالشَّلاَّلُ يَنسكِبُ

علمٌ وخلقٌ وحزمٌ في تواضعِهِ
وفوقَ صِنِّينَ أنفٌ دونَه السُّحُبُ.

تَنوَّعَ الوَهْجُ، خُذْ مِن وَمضهِ قَبَسًا
فِقهًا ونقدًا وآدابًا بها الأربُ

يَجلو الحبيبةَ مِن عدنانَ سُمرتُها
ومن هنا السِّحرُ والأحسابُ والنَّسَبُ

هَزَّ المَنابرَ حتَّى قالَ مَن سمعوا:
فَلْيَقتَفِ الدَّربَ من خَطُّوا ومَن خَطَبوا.

١٠٢

كتابُكَ الفَذُّ في الإبداعِ مُعتَصَمٌ
عزَّ الأصيلُ، وهانَ الشَّائعُ الذَّرِبُ

تحلَّقَ القومُ حولَ الصَّوتِ يُدهشُهم
كما تحلَّقَ حولَ السَّاحرِ العَجَبُ

أرسى القواعدَ، فالنقَّادُ ما خُدِعوا
الضَّوءُ يَسطعُ، والأغوارُ والقِبَبُ

زانَ الكلامَ، وقالَ الفصلَ في زمنٍ
توزَّعَ الدّجلُ والإعجامُ والرُّغَبُ

لا لن نريحَكَ، فالتَّكريمُ مُنطَلَقٌ
لا يَستوي المَجدُ حتَّى يكثرَ الطَّلَبُ.

١٠٣

يا "حكمةَ" الضَّادِ عادَ الأمسُ ملعَبَنا
نسعى إليك متى الأنوارُ تصطخِبُ

كَمْ "غالِبٍ" منكِ يا "أمِّي" وكَمْ رُسُلٍ
صانوا الحقيقةَ، ما خانوا، وما ارتكبوا

لو كانَ يُصغَى لِما علَّمتِ مِن قِدَمٍ
ما اهتزَّ لبنانُ، ما كانوا لِيَنصَلِبوا

قلتِ: الجَنوبُ كأرزِ الرَّبِّ قِبلَتُنا
وبَعلَبَكُّ، وبيتُ الدِّينِ والشُّهُبُ

نبقى ويبقونَ، لا تنفكُّ عروتُنا
مَن وَحَّدوا الأرضَ والإنسانَ ما غُلِبوا

١٠٤

وقلتِ: لا ينتهي التَّاريخُ في وطنٍ،
تَنمو الجذورُ ويَعلو شعبُنا الصَّلِبُ

إنَّ العروبةَ نَحياها وننشرُها
عِلْمًا وفنًّا، فنحنُ الشَّرقُ والعربُ

يا حاملَ العشرِ مِن وزناتِ "حِكمتِه"
أُعطِيتَ فَيضًا، ويُعطي بَحرُكَ اللُّجبُ

فيها ترعرَعتَ مِن وكنٍ إلى قِمَمٍ
تبارَكَ النَّسرُ في تحليقِهِ الزَّغَبُ

هنا نحجُّ، فلا ينفكُّ حافزُنا
أنْ نُرهقَ الصَّعبَ، أنْ تُستكشَفَ الحُجُبُ

١٠٥

أنَّى حَلَلنا فدارُ الشِّعرِ دارتُنا
أنَّى اشتعَلنا، حروفُ الشَّمسِ تَنكَتِبُ

١٠٦

هـو الكتاب

تحيَّةً إلى المحامي فارس الزُّغبي، ٢٠٠٨

تَماهى في الكُتُبِ حتَّى باتَ مُعتَبَرًا
هو الكتابُ، وما في الكُتُبِ أصداءُ

إن شِئتَ وَمضًا، فخُذْ مِن كُتبِهِ قَبسًا
أو شِئتَ نورًا، فمِنهُ النُّورُ أضواءُ

١٠٧

يوبيلُكِ الحبُّ ولبنان

لِمناسبة يوبيل مدرسة الحِكمة، ٢٠٠٠

جاؤوا مِن الحقِّ مِن عمقِ التُّقى قَدموا
جاؤوا مِن الشَّمسِ ما ضلُّوا وما هَرِموا

قُدُّوا مِن الدَّهرِ، قنُّوبينُ صَخرتُهمْ
ما فَتَّ مِن عَزمهم قَهرٌ ولا أَلَمُ

لمْ يَبتغوا عُزلةً، بلْ يَمَّموا وطنًا
للحُبِّ دينٌ، وللأحرارِ مُعتَصَمُ

أهلُ الكرامةِ، وكرُ النَّسرِ مَسكنُهمْ
ألارضُ حرثُهُمُ والعلمُ والنِّعَمُ.

١٠٨

هُمُ الموارنةُ الشَّرقيُّ محتِدُهمْ
ما عفَّروا جَبهةً يومًا وما هُزِموا

هُمُ الفَوارِسُ إِنْ مُسَّتْ مبادِئُهمْ
هُمُ الضِّياءُ إذا ما اشتدَّتِ الظُّلَمُ

إنْ قِيلَ حرِّيَّةٌ قُلْ عندَهُمْ نَشَأَتْ
أو قِيلَ حقٌّ فَقُلْ في سَيفِهمْ قَلَمُ

هُمْ صرخةُ الضَّادِ أنْ هُبُّوا فأمَّتُكم
إنْ يُذكَرِ المَجدُ كانتْ دونَها الأمَمُ

بِهِمْ ترسَّخَ أنَّ العُرْبَ مَلحمَةٌ،
مِن قَبلُ كانوا النُّهى، والغربُ يَغتنمُ

١٠٩

هُمْ وَحدةُ العَيش، سَلْ لبنانَ قاطِبَةً
هُمُ العِمادُ، إذا ما انهَدَّ تَنهدِمُ

لا، ما تَقَوقعَ مَن في الشُّهْبِ دارتُهم
تُبنى، فتَدنو بها البلدانُ والتُّخُمُ

إنْ ضَلَّ بعضٌ، فكَمْ في النَّاسِ مَن كَفروا
فالكلُّ مُتَّهَمٌ، والكلُّ مُتَّهِمُ

جاؤوا مِن النُّورِ، ماجَتْ مِن مناسِكِهم
مواكبُ الخلقِ والإبداعِ تزدحمُ

فأيقَظوا الشَّرقَ، ما دَكُّوا معالِمَه،
ما كانَ بالسَّيفِ، بل بالحَرفِ فَتحُهُمُ

١١٠

في عينِ وَرقة، في روما مَدارسُهم،
إنْ عَزَّ صَرحٌ، فتَحْتَ الدَّوحِ دَرسُهُمُ

رَدُّوا لِبَيروتَ، أمِّ الشَّرعِ، مدرسةً
كأنَّما استرجَعَتْ أجسادَها الرِّمَمُ

وسُمِّيَتْ "حِكمةً" كالفَجرِ طالِعَةً
لبنانُ ثَبْتٌ بها، والعِلمُ والقِيَمُ

قرنٌ وربعٌ، ويَهوي عمرُنا هَرِمًا
وعمرُها الدَّهرُ، لا وهنٌ ولا هَرَمُ

يا يوسف الدِّبسِ هَلْ في الدَّهرِ مِن رَجُلٍ
قد قِيلَ فيهِ: أَفَردٌ أنتَ أم أُمَمُ

١١١

هنا بَنيتَ، كما يَبنونَ، جامعَةً
كأنَّكَ النِّدُّ إنْ جارَيتَهم عَظُموا

للضَّادِ قلْتَ إليكِ الصَّرحُ أرفعُهُ
هنا عُكاظٌ، هنا للمَربدِ الذِّمَمُ

وقلْتَ للفِقه كُنْ منهُ على رَحَبٍ
فعندنا الفِقهُ باللاَّهوتِ يَلتحِمُ

كأنَّكَ الأزهرُ المِصريُّ تُنبِئُهُمْ
أو أزهرُ التُّركِ في بيروتَ يَلتَئِمُ

تَساءَلَ القَومُ: مِطرانٌ يُبَشِّرُنا؟
أم أنتَ تُفتي وكلُّ النَّاسِ تَحتَكِمُ؟

١١٢

لا فَرقَ، قلْتَ، فهذا نهجُ "حِكمتِنا"
بيروتُ تصهرُنا والشَّعبُ يَنتظِمُ

فعانَقَ الجبلُ الآتي مدينتَهُ
وكانَ فجرٌ مِن التَّوحيدِ يَرتَسِمُ

أبناؤكِ الصِّيدُ، كَمْ دانَتْ لهمْ قِمَمٌ
لمْ تَخطُ قَبلَهُمُ مِن فوقِها قَدَمُ

في الشَّعرِ، في النَّثرِ، في العَلياءِ مِنْبَرُهُم
في الفنِّ، في الحُكَمِ، في الأخطارِ تُقْتَحَمُ

جبرانُ منهمْ، وكَمْ للفِكرِ مِن هَرَمٍ
مَن قالَ في مصرَ؟ لا، في أرضنا الهَرَمُ

١١٣

هُمْ سادَةُ الضَّادِ والإعجازُ في يَدِهِمْ
إنْ تَرحَلِ الأُسدُ فالأشبالُ تَستَلِمُ

نَبقى لها الحِصنَ، لا مُسَّتْ، فنَهضَتُها
مِن بعدِ رهبانِها في "الحِكمةِ" الحرمُ

أَعطَيتِنا اللهَ، ما عُدنا لِطائفةٍ
لا للمذاهبِ، فالإنسانُ يُحتَرَمُ

مَن ذا يُفَرِّقُ، فالأديانُ واحدةٌ
إنَّا جميعًا "بِحَبلِ اللهِ نَعتَصِمُ"

هَدْيُ الكنائسِ والخَلْواتِ في دمِنا
مثلُ المساجدِ يَدعونا فنَنسَجِمُ

١١٤

لبنانُ يَجمعُنا والكونُ ملعبُنا
كلُّ الطَّوائفِ في أفلاكِهِ نُجُمُ

ألبَستِنا الشَّرقَ بالأمجاد متَّشِحًا
علَّمتِنا الغربَ بالإشعاعِ يَضطَرِمُ

عِشنا الرُّجولةَ نَقشًا في حداثتِنا
وفي الشَّبابِ تَجلَّى العَزمُ والهِمَمُ

أطلقتِنا رُسُلاً للحقِّ في وطنٍ
نحمي السِّيادةَ، أوْ لِلمَوتِ نَبتسِمُ

أبناءُ لبنانَ بالحرِّيَّةِ اعتَمَدوا
لا يُقهَرونَ، فشَعبُ المُستحيلِ هُمُ

١١٥

سَلِ الجَنوبَ، تُبَلِّغْكَ العُلى نَبأً
هُمُ البُطولاتُ لمْ يحلمْ بها حُلُمُ

هُمُ المقاومةُ الغَضبى مُزَمجِرَةً
يفرُّ من وجهِها أعداؤُنا الرُّجُمُ

ما وقفةُ العِزِّ إلاَّ مِن تَوَهُّجِنا
فَلْيَسألوا المَجدَ والتَّاريخَ لو علِموا

مِن عَهدِ صَيدونَ، مِن صورٍ، بِنا شَغَفٌ
أنْ نَصرعَ المَوتَ، أو بالمَوتِ نُختَتَمُ

يوبيلُكِ الحبُّ دَفقٌ مِن جَوارِحِنا
فكَمْ غَفرنا لِمَن في الحبِّ قدْ أثِموا

١١٦

تعودُ أيَّامُنا كالشَّمسِ مُشرِقَةً
ويَنتهي الغَصبُ والعدوانُ والنَّهَمُ

لبنانُ أقوى، بِنا يَخطو، ويَقهرُها
لا فوقَ لبنانَ إلاَّ اللهَ نَلتزِمُ

١١٧

مَن مِثلُ لبنان

لِمناسبة تكريم الشَّاعر الدّكتور منيف موسى، ٢٠٠٨

مُنيفُ، مِن ذروةِ الإشراقِ يَلتَمِعُ
شِعرًا، تجاذبَهُ الإبداعُ والوَجَعُ

يُصَعِّدُ الشَّدوُ لِلعَلياءِ، يُدهشُها،
تشيحُ عن عَزفِها الدَّهريِّ، تَستَمِعُ.

عرائِسُ الشِّعرَ، ولهانًا تُراوِدُهُ
عَبْرَ القصائدِ، في الأبياتِ تَضَّجعُ

١١٨

تأتي مِن الوجدِ، بالأسرارِ موحِيَةً
بها المَحابرُ جنَّاتٌ ومُنتَجَعُ

روائعٌ، أنتَ إنْ لامَستَها اشتَعَلَتْ،
كما يؤجِّجُ نارَ المُغرَمِ الوَلَعُ

هيَ الحداثةُ، لا زيدٌ ولا عمرٌ
يُهشِّمُ العروةَ الوُثقى فتَنقطِعُ

إنَّ الحداثةَ شِعرٌ لا زمانَ لهُ
لا الأحجياتُ ولا الأشكالُ والبِدَعُ.

مَن مِثلُ لبنانَ، أهدى الكونَ أشرعَةً
توزِّعُ الحرفَ، والظَّلماءُ تَنقشِعُ

كانَ الجمالَ، وكانَ الحُبَّ مِن أزَلٍ
كانَ الأناشيدَ في الأسفارِ تُرتَجَعُ

١١٩

مَن مِثلُ لبنانَ، يومَ العربُ في صَبَبٍ
يَدعو إلى البَعثِ، والرُّوَّادُ تَندفِعُ
كَمْ مِن "سعيدٍ" أعادَ الشِّعرَ مُعجِزَةً
كَمْ مِن رموزٍ أضاؤوهُ بما ابتَدَعوا
هنا القَريضُ، هنا الدُّنيا مُجَنَّحَةً
هنا التَّجَلِّي، هنا الإلهامُ والوَرَعُ.

مَجَّدتَ لبنانَ، هل صانوهُ، أمْ طَعَنوا
قلبَ المحبَّة، لا يَدرون ما صَنَعوا
ألشِّعرُ ينزفُ، والأدغالُ زاحفةٌ
والحكمُ ذُلٌّ، فلا عزٌّ ولا بَدَعُ
تَنعي القيادةُ أبطالاً لها رَحَلوا
وَمَن تَراءى فَخَدَّاعٌ ومُنخَدِعُ

١٢٠

أَلشَّرُّ يهدرُ، والحرَّاسُ يُشغِلُهمْ
جِنسُ الملائكِ، لا الأسوارُ تَنصدِعُ

يا أهلَ لبنانَ، هبُّوا الآنَ وانتصروا
بعدَ الهزائمِ، لا يُجديكُمُ الدَّمعُ

أَلحُبُّ وَحدَهُ، والأقلامُ تُنقِذُكُمْ
والأنبياءُ إذا ما شِئْتُمُ رَجَعُوا

يا حارسَ الشِّعرِ، قد رصَّعتَهُ كُتُبًا
بالياسَمينِ، وبالعشَّاقِ، كَمْ سَطَعُوا[١]

بالسِّحرِ تُسرِجُ أفراسًا مُطهَّمَةً
عنانُها البرقُ والإيقاعُ والسَّجَعُ[٢]

١- إشارةً إلى ديوانَيه: عربة الياسمين وعاشقٌ من لبنان.
٢- إشارةً إلى ديوانَيه: فرس الجمال وإيقاعات.

١٢١

شِئْتَ "الأميرةَ" أنْ تَختَطَّها فلَذَا
في كلِّ حرفٍ بها الأمداءُ تَتَّسِعُ[١]

لا مثلُها الجنُّ، لا الأطيافُ، لا أرجٌ
لا العَينُ تَدنو، ولا يستَنزِلُ السَّمَعُ

ألمُستحيلُ، نظلُّ العمرَ نطلبُهُ
نَسعى فيَنأى، ويبقى التَّوقُ يَندلِعُ

١- إشارةً إلى ديوانه: كتاب أميرة.

أناشيد

شعارُنا التاريخ والحوار

نشيدُ أنطِلياس، ١٩٩٧

يومَ كانَ البَدءُ، أنطِلياسُ كانَتْ
تَبدأُ الدُّنيا بإنسانِ المَغارَهْ
وابتَنَتْ صَرحَ الثَّقافاتِ وصارَتْ
قلبَ لبنانَ التَّآخي والحضارَهْ.

ها هُنا في الدَّيرِ قدْ خُطَّتْ مَواثيقُ الوطنْ
شعبُنا الواحدُ هَزَّ السَّيفَ فاهتَزَّ الزَّمنْ

١٢٣

وإذا ما عادَتِ الأحداثُ يومًا والفِتَنْ
عُدْتِ أنطِلياسُ رمزًا ومَزارا.

كلَّما تَعلو على شاطيكِ أبراجُ المَعاهِدْ
تُثمِرُ الأجيالُ في بستانِكِ الرَّحبِ الفَرائِدْ
صِرتِ أنطِلياسُ ملءَ السَّمعِ فنًّا وقصائِدْ
ونَشَرتِ الوطنَ الحرَّ حِوارا.

فتَعالَوا نَنْشُدُ الحقَّ ونُغْني البشريَّهْ
وَجْهُنا البحرُ ومِن خَلْفُ الجبالُ الأزليَّهْ
ها هُنا قد أقسَمَ الأجدادُ أن نَحيا سَوِيًّا
فارفَعوا التَّاريخَ والحرفَ شِعارا.

١٢٤

أهلُكِ الوهجُ اكتمَل

نشيدُ بيت شباب، ٢٠٠٩

دُرَّةَ المَتنَينِ حَيَّاكِ الضِّياءْ
مَهبِطَ الوَحيِ، وأقلامَ البَهاءْ
رَسمَتْ أجراسُكِ الأرضَ سماءْ
نَسجَتْ أنوالُكِ النُّورَ رداءْ
وحفظتِ الطِّينَ فنًّا
عزَّ منْ عهدِ الأُوَلْ.

١٢٥

يا حمىً قدْ كُنتِ سيفًا وفوارِسْ
وحقولاً وانفتاحًا ومَدارِسْ
كُنتِ فنًّا وجمالاً ونَفائِسْ
واستوى الأبناءُ في صَدرِ المَجالِسْ
فاستَنيري وأنيري
إنَّكِ الوَهجُ اكتَمَلْ.

أبدًا تبقَينَ بيتًا وشبابا
أبدًا تُعْلينَ في المجد القِبابا
كمْ هَدَيتِ الوطنَ الرَّأيَ الصَّوابا
ومَدَدْتِ البحرَ آفاقًا رحابا
وتَقَصَّيْتِ المجاهِلْ
وتخطَّيْتِ الأملْ.

١٢٦

كمْ أديبٍ منكِ، كمْ منْ شُعَراءْ
أتعَبوا الإبداعَ، كانوا الأُمراءْ
عمَّروا لبنانَ فكرًا وحضارهْ
أشعلوا في ذُروة الشَّرقِ المنارهْ
فسلامًا يا شذا الوادي
ويا فخرَ الجبلْ.

١٢٧

وَسِّعوا التاريخ

نشيد بلدتي العزيزة عينطورة المتن، ٢٠٠١

قادِمونْ... قادِمونْ...
مِن جبالِ الشَّمسِ إنَّا قادِمونْ
حامِلونْ... حامِلونْ...
شَمْخَةَ الأنجُمِ فينا والحُصونْ.

مِن ذُرانا نَقْحَمُ الأُفقَ الوَسيعْ
نحمِلُ الصَّيفَ أميرًا والرَّبيعْ

١٢٨

بيتُنا الدَّهريُّ بيتٌ للجميعْ
إنْ دُعينا يسلَمُ الحقُّ الرَّفيعْ
قادمونْ... قادِمونْ...
بالنَّهيِ والعَزمِ نَبني ونَصونْ.

كَمْ حَفَرنا التُّرْبَ في الصَّخرِ المُعانِدْ
يومَ كان الحَقلُ مَجدًا وأماجِدْ
كَمْ عَبَرنا البحرَ نَجْني ونُجاهِدْ
قادِمونْ... قادِمونْ...
كي يَخُطَّ المَجدُ أنَّا الغالِبونْ.

نحنُ كالعُقبانِ رمزٌ للشَّجاعَهْ
وكما الأجدادُ نَحيا في المَناعَهْ

١٢٩

وإذا الدُّنيا تَخَطَّتنا اندِفاعا
إستَعَدناها نُبوغًا وصِراعا
قادِمونْ... قادِمونْ...
وسِّعوا التَّاريخَ إنَّا قادِمونْ.

١٣٠

مشعل النور

نشيد نادي المشعل الرِّياضي، ١٩٥١

نحنُ جُندُ الحقِّ نورٌ يُجتَلَى
في قُرانا سنَكونُ الأمَلا
فإلى الإصلاحِ هيَّا للعُلَى
نزرعُ الخَيرَ ونَمشي رُسُلا.

نحنُ أعداءُ الضَّلالِ
نَبتغي خَيرَ الفِعالِ

١٣١

قد دُعِينا للنِّضالِ
فعَشِقْنا العَمَلا.

قريتي لَبَّيْكِ قد هَبَّ الشَّبابْ
باندفاعٍ لا نُداجي أوْ نَهابْ
نَعشقُ الأمجادَ نُهدي للصَّوابْ
فانظُرينا قد حملنا المِشعَلا.

نحنُ أعداءُ الضَّلالِ
نَبتغي خَيرَ الفِعالِ
قد دُعِينا للنِّضالِ
فعَشِقْنا العَمَلا.

الثقافة بالمَجَّان
سلسلة كتب أدبيَّة مجَّانيَّة أسَّسَها *ناجي نعمان* عامَ ١٩٩١ وما زالَ يُشرفُ عليها
Ath-Thaqafa bil Majjan
Série littéraire gratuite établie et dirigée depuis 1991 par
Free of charge literary series established and directed since 1991 by
Serie literaria gratuita establecida y dirigida desde 1991 por
Naji Naaman

Raymond Azar
BAYNAL MAJARRATI was SANABIL
بين المجرَّة والسَّنابل

Mai 2009
© Tous droits réservés – **All rights reserved** – *Todos los derechos reservados* - ألحقوقُ مَحفوظة
Maison Naaman pour la Culture & www.najinaaman.org